قربان التاريخ شهادة حية لشاعر عراقي عاش التحولات المأساوية في الحياة العراقية المعاصرة.. شهادة تأرجحت بين قيام الدكتاتورية وهيمنتها على مجمل مفاصل الحياة والفكر بقوة الحديد والنار وبين سقوط رمز هذه الدكتاتورية وصنمها.هذا الكتاب يوميات مراقبة للقمع والمصادرة والموت مثلما هي رصد لحركة الشعر والفكر.هي قراءة امتزج فيها السياسي بالشعري. عبر يوميات قامت بوصف ومن ثم فهم حوادث مأساوية اشبه بفصل كابوسي من رواية دموية حدثت في عالم آخر غير عالمنا.

المدى الثقافي

قربان التاريخ
العراق من لهب العقل الى رماد النفط

صلاح حسن

الفصل الاول

بعد أحد عشر عاما من الغياب.. العودة الى بغداد والهروب منها

(١)

لحظة سقوط تمثال الدكتاتور صدام حسين في ساحة الفردوس كانت بالنسبة لي حدا فاصلا بين حلم طال انتظاره وكابوس ظل جاثما على صدري حد الاختناق. لقد اصاب عيني في تلك اللحظة تشوش وعمى مؤقت وبدأت اجفاني ترتجف بسرعة.. بحيث أنني لم استطع آن ارى المشهد جيدا فهرعت الى المطبخ وغسلت وجهي بماء بارد وعدت مسرعا الى شاشة التلفزيون. كانت الدبابة الأمريكية تسحب الصنم / التمثال وتسقطه أرضا، وكانت الجماهير الغاضبة تصفع وجه التمثال المنهار بالأحذية.

كانت مشاعري ملتبسة تماما. لم اكن سعيدا، ولم اكن حزينا. كنت مرتبكا. لقد توقف إحساسي بالزمن وكنت في حالة انعدام الوزن، لم اكن استطيع ان اتنفس بسهولة. أخرجت قنينة نبيذ احمر وشربت كأسا كاملة جرعة واحدة فشعرت بعد دقائق قليلة بالتوازن وتيقنت بأن ما يحدث امامي ليس حلما آو كابوسا، بل هو بث حي من بغداد وليس من أي مكان اخر من العالم. ولكنني مع ذلك لم اكن لاصدق ما يجري. ارتشفت جرعة اخرى من النبيذ وقد استبد بي نوع غريب من القلق. لم اكن اعرف ماذا افعل.. كانت قنوات تلفزيونية كثيرة تبث المشاهد نفسها.

فجأة رن جرس التلفون فتناولته وانا اقول : هلو.. هلو.. غير آن الجرس ظل يرن فأكتشفت أنني كنت امسك بجهاز الريموت كونترول. رميته بأرتباك وتناولت التلفون... كان احد اصدقائي على الخط وهو يصيح بانفعال : هل رأيت الصنم وهو يسقط ؟ فقلت له : هل تصدق ؟ قال لي مبروك واغلق الخط. بعد ثانيتين رن جرس التلفون مرة اخرى فتناولته على الفور وقلت لماذا اغلقت الخط ؟ ولكنها كانت صديقتي آنا هذه المرة وهي تصيح بفرح غامر : لقد سقط صدام حسين ! في تلك اللحظة فقط شعرت بأنني قد استيقظت من الكابوس وكانت لدي رغبة عارمة في الصياح (لقد انتهى الكابوس.. انتهى الكابوس).

ولكن الكابوس لم ينته اذ بدأت مرحلة اخرى من الحرب القذرة. انها مرحلة السلب والنهب وتدمير المؤسسات العراقية الثقافية والفنية والعلمية والرياضية ابتداء من المتحف العراقي وانتهاء بالمستشفيات، حتى دور رعاية المجانين لم تسلم من السلب والتدمير. كنت انظر الى هذه المشاهد وانا اتمزق الما وحزنا.. وكنت اقول في نفسي آن العراقيين ليسوا بهذه السذاجة بحيث يحطمون بلدهم بأيديهم ! كما انه ليس من المعقول آن يقوم العراقي بتمزيق هويته وحرق ثقافته وتراثه بنفسه وهو يعلم جيدا انه مستهدف من قبل الجميع وليس لديه ما يحتمي به سوى ثقافته وتراثه. لقد تبددت فرحتي بسقوط نظام صدام حسين سريعا وانا اتابع مشاهد الخراب الذي يطال المدن العراقية جمعاء.. وتذكرت خطاب صدام يوم اعتلى سدة الحكم اذ قال يومذاك (كل من يفكر بأزاحتنا عن السلطة فأن عليه آن يتذكر اننا سنسلم له البلاد ترابا). فهل نفذ صدام حقا تهديده وبدأ ازلامه بالفعل بتحويل العراق الى ارض خراب ؟؟.

اجتياح بغداد

في ٩ نيسان اعلن الرئيس الامريكي بوش نهاية العمليات العسكرية في العراق. كان العراق قد اصبح بلدا خارج التاريخ والعالم.. اذ لم تكن هناك وسيلة للاتصال بالداخل باستثناء ما كانت تنقله وسائل الاعلام من صور غريبة عن الحرب التي بدت وكأنها احد افلام الخيال العلمي . لم يكن بمقدور أي عراقي سواء كان داخل العراق أم خارجه معرفة مصير اهله أو اصدقائه. كان صوت الدم المسفوح يعلو على كل الاصوات، والحناجر المذبوحة بشظايا الصواريخ العمياء تلفظ اخر اسماء الاحبة البعيدين. اما النار فقد ظلت تتقد، تغذيها الاجساد والاحقاد ورغبات تزداد اشتعالا مع رائحة الموت المنبعثة من كل مكان.

كنت اسمع من بعض الاصدقاء أن ذويهم قد اتصلوا بهم عن طريق نوع من اجهزة الموبايل يسمونه (الثريا) ولهذا الجهاز قصة سأرويها بعد قليل - غير آن الاتصال عن طريق هذا الموبايل مكلف جدا وسعر الدقيقة عشرة دولارات امريكية.. والعراقيون في الداخل لايستطيعون دفع هذه المبالغ للاتصال بأبنائهم المنتشرين في كل بقاع الارض. جهاز(الثريا) تليفون موبايل تستخدمه اجهزة المخابرات في العالم.. وفي العراق يسمونه جهاز الجواسيس لان ١٣٠ جهازا منه اسقطت بغداد دون قتال كما يروي ذلك ضابط كبير سابق في الحرس الجمهوري :

(كان صدام يعرف أن الاتصالات ستنقطع اذا قامت الحرب، لذلك زود مساعديه المخلصين من المخابرات والاستخبارات وقادة الجيش بهذه الاجهزة. غير أن المعارضة العراقية استطاعت آن تحصل على عدد غير قليل من ارقام هذه التلفونات وقامت بالاتصال بقادة الجيش ونصحتهم بعدم القتال في بغداد لانه عبث، مقابل الحفاظ على حياتهم وحياة ابنائهم والعيش في امريكا كمواطنين امريكيين. وهكذا قام الفريق الركن ماهر سفيان التكريتي بعد ان قبض ملايين الدولارات باصدار اوامر الانسحاب من المطار وارسل جنوده الى بيوتهم، فيما قام الفريق الركن حسين رشيد التكريتي وابنه علي حسين بالانسحاب من قرية الرضوانية بعد ان تسلم (٥) ملايين دولار.

ويضيف الضابط السابق : لقد سرب الفريق الركن ماهر سفيان التكريتي الى الامريكان خطة الدفاع عن بغداد التي انقذت الجنود الامريكيين من المحرقة. كانت الخطة تعتمد على استدراج الجنود الامريكيين الى منطقة معينة بالقرب من بغداد احيطت بسبعة خطوط دفاعية حيث دفنت فيها براميل من النفط الخام مع مادة تي ان تي ومتفجرات اخرى مختلفة وربطت بكونترول مركزي يمكن من تفجير هذه الخطوط السبعة مرة واحدة وتحويلها الى جهنم فتسقط اعداد كبيرة من القتلى الامريكيين قد تدفع واشنطن الى وقف القتال او الانسحاب).

الثريا مرة اخرى

بعد خمسة ايام تتصل بي اختي (عن طريق الثريا) لتبشرني بأن عائلتي بخير وان اخوتي جميعهم مازالوا على قيد الحياة. كان صوتها يقطر دما وهي تتكلم.. كانت كلماتها تسقط في اذني مثل قطرات الدم الحار، هكذا شعرت.. لا اعرف لماذا. قالت سأعطيك رقما هاتفيا لتتصل بنا فورا. أنا هنا في احد مكاتب (الثريا) المنتشرة الان في العراق. ارجو آن تتصل لانني لااملك ثمن المكالمة الهاتفية. اغلقت السماعة وبعد محاولتين تمكنت من الحصول على الخط. قلت لها هل حقا آن الجميع بخير حتى اخوتي ؟ قالت نعم وارجو آن تصدقني. قلت هل تستطيعين احضار اخوتي كلهم بعد ساعة من الان ؟ اريد أن اكلمهم كي اصدق ذلك. قالت بعد اقل من ساعة سيكونون هنا. متى ستعود الى العراق ؟ قلت احضري اخوتي اولا.. لا استطيع آن افكر بشكل واضح... كيف حال امي ؟! قالت انها مريضة وتريد آن تراك قبل آن تموت. تستطيع آن تحضر الان الى بغداد.. اليس كذلك ؟ قلت : احضري اخوتي اولا ارجوك.

لدي اربعة اخوة احدهم اكبر مني والاخران اصغر مني طردوا كلهم من وظائفهم وتعرضوا للسجن بسبب موقفي المعارض لنظام صدام. لم اكن اصدق انهم مازالوا على قيد الحياة (وسأروي في ما بعد كيف كانت المخابرات العراقية تستجوبهم). بعد ساعة اتصلت مرة اخرى بالمكتب لاجد اخوتي جميعهم بالانتظار.. طلبت الاخ الاصغر منهم لانني كنت اظن انه الاكثر عرضة للموت.. فقد كان يعمل ضابطا في سلاح مقاومة الطائرات. قال : اخي العزيز آنا بخير وباختصار شديد لقد نجوت من الموت لانني هربت بمجرد أن بدأت الحرب. وقد قضيت ليلتين في البساتين قبل أن اعود الى البيت سيرا على الاقدام وبملابس مدنية كنت احتفظ بها لهذا الغرض. نحن جميعا بخير ونريد آن نراك في اقرب فرصة.. لم يعد في مقدورنا أن ننتظر اكثر. والدتك تبكي طوال الوقت وتقول اريد أن ارى ابني قبل آن اموت. قلت : سأعود بمجرد آن اتدبر تذكرة الطائرة.

بعد هذه المكالمة شعرت بخدر لذيذ يسري في جسدي كله، هذه هي المرة الاولى التي اكلم فيها اخوتي دون ان اخشى ان يكون تلفونهم مراقبا. وبدون وعي مني اتجهت الى الثلاجة واخرجت الحبوب المنومة التي كنت استخدمها اثناء الحرب ورميتها في كيس القمامة. قلت في نفسي لم تعد لها ضرورة بعد الان - .

لاول مرة بعد زمن طويل اشعر بسعادة بالغة وحقيقية، طيلة الفترة المنصرمة كانت تسيطر علي فكرة ان يقتل احد اخوتي بسبب المقالات التي اكتبها وكان هذا مصدر قلقي الدائم وشعوري بالذنب. تناولت التلفون واتصلت بالعزيزة آنا وبصديقاتي واصدقائي الهولنديين الرائعين واخبرتهم بان جميع افراد عائلتي بخير ففرحوا لهذا الامر وتلقيت التهاني بلطف يصعب وصفه حتى أنني شعرت بأنني بين افراد عائلتي حقا.

وجه الحبشية

وارد بدر السالم

الحبشية تنعتق كلياً من خثرة العتمة، كأنما عدسة ديجيتل شديدة الحساسية أعتقتها من ركام كان يريد آن يحتويها والى الأبد. ألقَ فسفوري في وجه زنجي محنط اختلط فيه برتقال الأنوثة الأولى وسطوع القهوة الأثيوبية في بشرة صافية. لا يمكن إخفاء كمية الطفولة المغدورة في عينيها الصفراوين وكمية الألم غير الظاهر والذي أخفته بعناية أمام مصور يجيد إغناء الوجوه الحائرة بلمسات ذكية من تشتيت مكامن القهر وإغناء العناصر المكونة لمشهد الأنثى السمراء.

خلفها طيفٌ من الأشباح يكوّنون حلقة دخان أبيض وأصفر تحجب من كان في البار أو المقهى أو بيت المتعة لرجل ربما فاضت جيوبه بأموال مقترضة من بنوك محلية

ليحيي لياليه الحمر ويخص نفسه بذكريات غير متكافئة مع نساء مجهولات عبرن مدن البن والقات وأقاليم سود حزّ أرحامها الإيدز وسرطان الفقر، هاربات من جفاف وتصحر وعطش من " عفار " و " تيكاري " و " بادمي " و " ديرادو " ليجدن أنفسهن، على نحو مخيف، في أطواق الليالي الخمرية الماجنة. ربما كان ذلك فعلاً. ربما كان هذا بارا لنساء يعبرن الليل بأقل الأجور، أو هو مقهى تداخلت فيه نفحات الأراجيل واصطدمت فيه الرؤوس على رؤى مؤقتة، فانبثق هذا الوجه الطفولي من كل الركام ليدخل في برتقال الضوء، منهزماً من حصار فاجر ورائحة منوية تسيل بلا انقطاع من صنابير الغرباء، وربما كان غير ذلك أيضاً ؛ فالأشباح على قلتهم اقتسموا الفضاء تحت غيمة فضفاضة من الدخان الأبيض والأصفر وأنشأوا مشهداً لا يمكن التأكد منه على وجه التحديد في هذه اللحظة.

يتململ رجل أسمر في موضع حُشر فيه حشراً، ولولا نثار الضوء المتهالك عليه ؛ وهو من بقايا حزم لونية برتقالية ساطعة أنضجت وجه الشابة وكشفت اغلب عناصره ؛ لولا ذلك لما كان بالإمكان اصطياد الرجل الأسمر الناظر الى كل شيء في مشهد الوجه الحبشي.

طفلة القهوة الحبشية من نوع " يرغاتشيفي " تستدعي الآخرين إليها :عيناها تضيقان وتتسعان حسب درجة الضوء البرتقالي المتبدل عليهما مرتين : الضوء الذي اسبغته عدسة مقتدرة لتزيل قدراً مهماً من زنوجتها وتضفي عليها مسحة من جمال جديد، والضوء المتألق من قاعة المكان الغامض الذي يتساقط على مكونات الوجه بنسب عادلة، فيضفي، للوهلة الأولى، سطوعاً مغشوشاً لم يكن في وجه الحبشية المبتسمة بقهر ولوعة.

بين عينيها الصفراوين " أفنجا " صغير مصقول شكّت في أحد منخريه حلقة حمراء مندغمة مع حفلة الضوء البرتقالي ومتضامنة مع شبح الألوان خلفها، فبدت مثل شرارة مقوسة التهب بها المكان، فيما استدقت أقراط ثلاثة ناعمة على صفيحة أذنها الداخلية كنجيمات متشكلة من لون القهوة المُرة، فيما علت غمازتيها موجةٌ خفيفة من لونٍ لم يحمر بعد.. ولم ينضج بعد.

لا يمكن تخمين المدينة التي هربت منها طفلة البن، فالوجوه الأثيوبية متشابهة تتقاسمها الملامح الصفر ذاتها التي تنم عن أنيميا مستعصية وكأن الثماني مائة مليون إنسان تقاسموا الفجيعة منذ عهد النجاشي والى عهد زيناوي، ستة وعشرون ألف وثماني مائة وثمان وستون مدينة تغطي مساحة الفقر الأسود والتصحر الأجرد في "ديرادوا" و"قندار" و " جيما" و "توشي" و"أورميا" و"هرار" و" كافا" و " تاكازا" عدا الحروب الطائشة التي انسحق فيها الجنود الأثيوبيون وأكلتهم الذئاب الإرتيرية الجائعة حتى أصيبت بالإسهال، وكأنما تلك الواقعة الرهيبة التي أرخها برثاء حزين " لعبي عبدالله" بلغته التجرية " كمكمد اندي ركبيا / تاكاس حزيت اكريت " كأنما هي وغيرها من الوقائع المهولة سرطان آخر يضاف الى سرطانات الجوع والخوف وشحة الحياة : " تلك البلاد التي يموت الناس فيها عطشاً " حين ذكرها هوميروس في أناشيده الخالدة، أمن كل ذاك الركام خرجت يا بنيتي الأمهرية ! يا طفلة الضياع الأول ! طفلة الحانات المبكرة التي استفاقت على جوع جسد أم معدة خاوية أم أغنية رددها " أفريم" بحلاوة لسانه الأثيرة! لعلك تتذكرين وأنت في هذا الغسق المخلوط بنشارة الضوء "عايدة" التي انبثقت من أديس بابا لتعشق "راميس" في قصة حب عنيفة هزت الحناجر والألسن وتبارى عشاقٌ ومغنون لترجمة نار القلبين العاشقين في أغانٍ صداحة ملأت البلاد من أقصاها الى أقصاها : وهذا " تلهون" الذي تعشقين صوته وأولئك الذين صنعوا ذاكرتك الصبية : "ديمو جمري" و"أستير" و"همل" و"نواي" و"سهاي" ولكنهم تخلوا عنك في لحظة التاريخ السريعة وبعد اجتياح الجراد لشعرك المتقاطر بضفائره الرفيعة المجدولة بعناية إلهية حميمة.وكأني أراهم الآن خلفك يتناوبون في غناء صامت ملؤه الحزن والبكاء، ولكن دعيني اللحظة أرى كل شيء. أرى الشيطان الأثيوبي المتربص لسمانته الطرية في بلد "النجاشي" بلد البن والزهور والعطور.. والجفاف.

لا يمكن الإقرار بأن الأشباح خلف الحبشية السمراء يغيرون مواقعهم أو يتناوبون في استدراج ضوء مغلق على حانتهم أو مقهاهم أو بيت متعتهم، لكن العدسة حاصرتهم حتماً واستأثرت بوجه الشابة الحبشية، فانتزعتها من المكان بفرادة، وتركت مزيداً من العتمة والغموض من الجوانب كلها ؛ إلا من ذلك الرائي الأسمر الذي اقتنصته العدسة الحساسة في اللحظة الأخيرة كفائض لا يعني وجوده شيئاً تقريباً إلا لكونه قد ظهر الآن ولا مناص من الإقرار بحضوره الحتمي الطارئ.

تركت شفتيها السمراوين عابرتين في اللقطة، فظهرت ابتسامة منهكة، كأنما أتمّت قبل قليل مع نفسها أغنية الكابلي " يا أخت بلادي.."وقد غنتها بلا سعادة مفترضة، بلا موسيقى كونية ولا كلمات تستطعمها. بدت روحها خاوية وأعماقها سود خرجت من "المركب السكران" ومن كلمات الشاعر البوهيمي المجنون المتوحش، الراكض الى الضياع، رامبو، الذي لا يكبرها إلا بعدة ساعات حين وصل الحبشة ولم يجدها فاقتفى خيط البراءة في "هرار" عله يراها.. الجرح نفسه و العذاب نفسه :".. العالم كبير ومليء بالبقاع الجميلة، لكن لا أريد آن أتجول في البؤس ، بل أريد أن يكون بحوزتي عدة آلاف من الفرنكات تدر عليّ دخلاً ثابتاً..." هكذا كتب الى أمه ذات مرة وهو هائم بين اليمن والحبشة، ليصطاد النقود لا القصيدة، فهل ينتقل نفس الجرح من الرجل الى المرأة ؟ هل تنتقل الأغنية الجريحة من شفة الى شفة ومن قلب الى قلب ؟

"دقينا فكرن دقينا.. دقينا موددن دقينا..دقينا ناي قجي منّا... دقينا لمنتا قرفيالش.. دقينا فقيقتا سجيني.. "

هل أراك تستحمين في مياه " غومارا" لتخلعي أمراض الكوخ المزمنة أم تستحمين في نهر "عواش" لتنحدري مع جريانه الى صحراء " الدناكل " أم تتسلقين الجلاميد العملاقة في " زيمين" لتصلّي الى السماء وتنشدين نشيد اليأس العارم، لعل السماء تمنحك حبة من مطرها الفائض ! لماذا لا أراك في الأعياد صبية مبتهجة ترفلين بورود الأورشيل والكاميليا وتتخاطرين بين عساليج الكروم، تاركة أوراق "الهليون" على رؤوس المنتصرين من سادتك أو ترقصين حول النار مكتفية بفرح قدوم "الموسكال" عيدك الأثير! هل تكفي دمعة واحدة لإغراق العالم المظلم، وهل يكفي حزنك لتلطيخ الدنيا بالسواد الداكن؟.

أطفال "الفلاشا" السود يكنسون شوارع تل أبيب ويأكلون من بيارات يافا ومزارع الخليل وحقول نابلس تيناً وعنباً وبرتقالاً بعد أن نسوا كروانات أديس بابا ولاعق العسل وأرملة الفردوس والصقر الراهب وكل التسميات الشاعرية لطيور البلاد، أما أطفال "الفلاشمورا" المنتزعون من أراجيح " غوندار" فإنهم ينشدون الأغاني العبرية وأمهاتهم يخبزن " الماتسا" وكل هذا "الجنس الأسود" الذي فرقه "هيلاسيلاسي"، حفيد بلقيس وسليمان كما كان يتمنى، هو نتاج غرام الجن والغبار وغرام الجراثيم بالغابات الإستوائية، وحتى الرفيق " منغيستومريم " عقد الغرام ذاته مع ذلك الجن الهجين وتلك الجراثيم، لكن غريمه التجري "ملس زيناوي" القادم من دهاليز البيت الأبيض كان أكثرهما دهاء ومكراً، فهيأ الأجواء كلها لهجرات جائعة تبحث عن الكلأ والماء والخضراء، لا عن أرض موعودة بالتبر والجنة والأعناب، بعد إن ذوت الأجساد وتمردت بيضة الطفولة على قشرتها، لتخرج هكذا، طفلة الحبشة الجميلة ذات الإبتسامة المنهكة.حفيدة بلقيس السبئية التي عادت مسلتها بعد عقود من العار الجمهوري ؛ يوم نهبها ثور ديكتاتوري يسمونه موسوليني ودكها في قلب روما، ليمجد انتصاره الوهمي على شعب جائع ؛ وقبله منذ عهود سالفة قامت الأميرة اليهودية الجميلة " أديث" بتدمير معابد أكسوم، فتخرج حشود بشرية على قرع أجراس الكنائس لترى ١٧٠٠ سنة منطوية في أدراج التاريخ على شكل مسلة ترتفع الى ثمانين متراً، وكأنما تنهض الآن مملكة سبأ وأكسوم وتعود الملكة بلقيس محفوفة بالزنابق الإلهية وجموع الحوريات الحبشيات اللواتي لم يفهمن شيئاً مما يجري، وطفلتي الجميلة خرجت منذ الصباح الباكر متشحة بالجمال الوحشي النابض في جسدها، تستقبل مع صويحباتها في طوابير طويلة، حجراً جرانيتياً عملاقاً سرقه الطليان في عصر غابر. عاد الحجر الذي كادت تفتك به عاصفة من البرق قبل سنوات وتحيله الى أشلاء.طفلتي تبتكر الحكمة من أعماقها الصغيرة : خذوا التاريخ واعطونا خبزاً وسلاماً، خذوا الحجر واعطونا الماء..

بين غلالة الأراجيل المطبقة وعتمة المكان المجهول بيضة من ضوء أصفر شفيف أحاط بوجهها، يمكن ملاحظتها بعد تمحيص وانتزاعها من كتلة اللون البرتقالي، تلك البيضة غير المرئية تماماً وضعتها في حالة جنينية غريبة، وبالإبتعاد خطوة قصيرة عن مشهد الفتاة السمراء وبتركيز نافذ يمكن أن يتغير المنظر : الضوء الأصفر الشفيف هو سائل اصفر في حالة الصيرورة والتكون ، لم يستقر بعد، على أن الابتعاد خطوة قصيرة أخرى الى الوراء سيكون محاً لبيضة فقدت قشرتها وقد انبثق منها وجه الحبشية المعذب.

خطوة ثالثة الى الوراء، يتطاول بعدها الحائط الأبيض المحيط بها : يتمدد المشهد المحاصر بعتمة الأراجيل الى حائط العرض المستكين الى بياض ناصع : تلتصق صورة الحبشية مع كتلة الحائط : يستقر السائل الأصفر مع قشرة الحائط : وجه معذب بعينين صفراوين داخل بيضة متصالبة..

بلا إحالات ولا خيال مضطرب هذه اللحظة أعيد النظر الى تينتي الحبشية : شبكة شعرها المتناثر على شكل ضفائر رفيعة معمولة بدقة وعناية.. كل ضفيرة كأنها مسبحة ناسك هرم، مفتولة بعناية، لكنها مشتبكة ومتناثرة كجذور شجرة عجوز : كإنما ريح غير مرئية فرقت مسبحات الناسك الهرم وانتزعت شهوة الطفولة وألقتها عارية صفراء في فضيحة الليلة الأولى.

منسّقُ أحلام الشرق

عادل صردات

في الأيام السوداء
منحتني كائنات البيت
هذا المنصب الرفيع

١
خامسَ يوم منْ إيابي
بعدَ أن سرقني الضجر
أنام وكأني بثيابٍ غواص
ثم أصحو يالهَ منَ فزع
حتى النبي المزق
تنجده كلمة
❖ ❖ ❖
هلْ تصادقُ الموتَ ؟
يا للتشاغل !
ها إني أرتدي طفولةَ شيخ
يصفّي بغربالهِ الوقتِ
فمن يرافقني أمنحه هدهدَ الحب
❖ ❖ ❖
تتزيا أطيافُ همتي
أنا الهابطُ إلى الأرضِ الجديدة
أزرع نباتاً يقتل الألم
وأبتلي بحب كوني
أرى حتفي فيه
❖ ❖ ❖
لا يشعُ حزني
إلا وبينَ كدماته غناء
يا ابنَ الأعشابَ المرة
نحن في البداياتَ دائماً
فمن أين تأتي الكلماتُ المشعة ؟

٢
على مشارفِ الصبح
لحظةُ الطيرانِ تعادلُ عمرَ المنهوب
أتنقل في البيتِ
وبي عشقٌ إلى التراب
حائراً
مطمئناً
لجنونِ الأيقوناتِ السومرية
❖ ❖ ❖
يسألونكَ عنِ الجناحِ المحلق
كيف يكتب رائعةَ النهار ؟
فالرائع لا يأتي إلا بالقدْح
جمرةٍ
جمرةٍ
جمرةٍ
سلاماً أيتها الروح